



السؤال:

يلجأ عددٌ من السّوريين الذين دفعتهم ظروفُ الحرب إلى الخروج من سوريا للسفر إلى بلاد غريبة، لما يجدونه من تسهيلاتٍ في المعيشة، وفرص الحصول على عملٍ، وربما يهدف بعضُهم إلى الحصول على إقامةٍ دائمةٍ، أو جنسية بعد صعوبات استخراج جوازاتهم من سفارات النظام، وقد يكون ذلك رغبةً في تأمين حياة مستقرةٍ، فما حكم ذلك؟ أفيدونا بارك الله فيكم.

الجواب:

الحمدُ لله، والصلَّاةُ والسَّلَامُ على رسولِ الله، أَمَّا بعْدُ:

فالأصلُ في السَّفَرِ والانتِقالِ مِن بلاد الشَّام إلى بلاد غير الإسلامِية في الظَّرُوفِ الحالية هو: المنع، وُيُستثنى مِن ذلك المضطُرُ الذي لا يجد بِلَدًا مِن بلاد المسلمين يعيشُ فيها، فيجوز له الانتِقالُ للعيش في بلاد الكفارِ على أَنْ ينتقلَ منها متى ارتفعت ضرورَتُه، وكذلك التَّجَنَّسُ بِجَنْسِيَّةِ الدُّولَةِ غيرِ الإسلامِية لا يجوز إِلا لمن اضطُرَّ إلى ذلك، وبيانُ ذلك في النقاط

التَّالِيَّةِ:

أولاً: الواجبُ على المسلم المضططر للخروج من بلده: البحثُ عن بلادٍ إسلامِيةٍ يَأْمُنُ فيها على دينه ونفسه وماليه ، ويختار من هذه البلاد أسلماً لها لدينه، وأحفظها لعرضه .

قال تعالى: {وَمَن يُهَا جِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} [النساء: 100].

قال الطبرى فى "تفسيره": " ومن يُفارق أرض الشرك وأهلها هرباً بدينه منها ومنهم، إلى أرض الإسلام وأهلها المؤمنين ...
يجد هذا المهاجر في سبيل الله مهرباً ونجاة، ورحاباً فسيحة ". (بتصرف يسيرا).

وقد جاء في حديث توبه قاتل المئة نفس: (انطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سُوءٌ) متفق عليه، واللفظ لمسلم.
ولا شك أن العيش في بلاد المسلمين له أثر ظاهر على الإنسان في طاعته وعبادته، وتربية أبنائه.

ويجتنب المسلم السفر، والهجرة إلى البلد التي ينتشر فيها الكفر، ويكثر فيها الفساد والفتنة - بلاد الغرب- لما في ذلك من مخاطر كثيرة، منها:

1- الفتنة في الدين بسبب حال تلك المجتمعات من الفساد الديني، والانحلال الخلقي في مختلف مجالات الحياة، والأماكن الخاصة وال العامة، ووسائل الإعلام وغيرها.

2- الخشية على مستقبل الأبناء؛ لنشأتهم في مجتمع لا يراعي الدين والأخلاق في المدارس، وأنظمة التعليم، وجميع مرافق المجتمع، مما ينذر بخطر انحرافهم، وربما انسلاخهم من الدين بالكلية.

3- ما تحويه قوانين تلك البلدان من أحكام مخالف للشريعة تخل بقيام الرجل على أسرته، وتتيح للدولة انتزاع الولاية على الزوجة والأبناء، وتوكِلُ أمر رعايتهم وتربيتهم لأسر أو مؤسسات.

5- عدم القدرة على القيام ببعض شعائر الإسلام في بعض تلك البلاد.

6- خطر الافتتان بالكافر، أو الوقوع في محبتهم، أو الرضا بدينه، أو منكراتهم، أو مواليتهم، وإعانتهم على المسلمين؛ بسبب طول المعاشرة، وكثرة المخالطة.

ثانياً : يختلف حكم الإقامة في بلاد الكفر بحسب أحوال الإنسان، والظروف المحيطة به:

1- لا تجوز الإقامة في تلك البلاد، واللجوء إليها إذا خشي المسلم الفتنة في دينه، سواء كان ذلك من قبل الشبهات، أو الشهوات، أو كان مستضعفاً لا يتمكّن من إقامة الشعائر الإسلامية، أو لا يأمن على نفسه، أو ماله، أو عرضه؛ لأن الله تبارك وتعالى توعّد الذين يتركون الهجرة من بلاد الكفر إلى دار الإسلام، وهم على هذه الحال، فكيف بمن هاجر إليها؟ قال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٌ أَنفُسُهُمْ قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ كُنَّتُمْ مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَا جَرَوا فِيهَا فَأَوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 98].

قال ابن كثير في "تفسيره": "هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكاناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية".

وقال النووي في روضة الطالبين: "المسلم إن كان ضعيفاً في دار الكفر لا يقدر على إظهار الدين، حرّم عليه الإقامة هناك، وتجب عليه الهجرة إلى دار الإسلام".

وقد بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - عدداً من الصحابة على الإسلام، واشترط عليهم عدم الإقامة بين المشركين، ففي حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده : أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال له: (لَا يَقْبُلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَّا لَدُونَ، أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ) رواه النسائي، وابن ماجه.

قال ابن حجر في "فتح الباري" عن هذا الحديث وما جاء في معناه من الأحاديث: "وهذا محمول على من لم يأْمن على دينه".

2- يجوز السفر إلى بلاد الكفر الآمنة للمضطرب إذا لم يجد بلداً مسلماً آمناً يقيم فيه، أو يلجا إليه، ويتقى الله في دينه ما

استطاع، كما هاجر المسلمون المستضعفون إلى بلاد الحبشة؛ لأنّ فيها ملكاً عادلاً، لا يُظلم عنده أحدٌ، وتقيدُه بالمضطر؛ لما سبقت الإشارة إليه من المفاسد الكثيرة في الإقامة بينهم، التي إن سلم من بعضها فلا يسلم من بعضها الآخر. قال ابن حزم في "المحل": "وَمَمَّا مَنْ فَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَرْبِ؛ لَظَلَمٌ خَافِهِ، وَلَمْ يَحَارِبِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَعْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَجِدْ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُجِيرُهُ، فَهَذَا لَا شَيْءَ عَلَيْهِ؛ لَأَنَّهُ مُضطَرٌ مُكَرَّهٌ".

ومما يلحق بالضرر، أو الحاجة التي تنزل منزلتها في الظروف الحالية عدم القدرة على الوصول إلى بلاد إسلامية، أو عدم سماحها له بالإقامة فيها، أو الحاجة إلى علاج لا يتوفر إلا فيها، ونحو ذلك، ويسعى جهده في حفظ نفسه، ومن وله الله أمره.

ومن سافر إلى تلك البلاد مضطراً فعليه أن ينوي الرجوع والانتقال لإحدى البلاد الإسلامية متى زالت الضرورة، وقدر على ذلك.

ولا ينبغي للMuslim أن يتواهـل في الإقامة بين الكـفار لغير ضرورة، كفضول التكـسب، أو التـرفـ في المعـيشـةـ، بل يصـبرـ نـفـسـهـ مع المسلمينـ، ويـحتـسبـ ذـلـكـ عـنـ اللـهـ تـعـالـىـ؛ صـوـنـاـ لـدـيـنـهـ وـذـرـيـتـهـ، وـلـاـ يـعـرـضـ نـفـسـهـ الـبـلـاءـ وـالـفـتـنـ.

ثالثاً: ويتأكد المنع في حال اللاجئين السوريين إذا نظر إلى ما يكتنف هذا اللجوء والإقامة من مخاطر عظيمة، ومفاسد كثيرة، ومنها:

- عدم أمن الطرق، وغلبة احتمال ال�لاـكـ، كما في السـفـرـ بـالـزـوـارـقـ الـبـحـرـيـةـ عن طـرـيقـ التـهـريـبـ.
- التـكـالـيفـ الـمـادـيـةـ الـبـاهـظـةـ، وما يـصـاحـبـ ذـلـكـ مـنـ اـحـتـيـالـ، وـتـزوـيرـ يـتـحـمـلـ الـمـاسـافـرـ تـبعـتـهـ عـنـ اـكـتـشـافـهـ.
- فقدـ الـبـلـادـ الشـامـيـةـ فـلـذـاتـ أـكـبـادـهـ، وـخـيـرـةـ أـبـنـائـهـ، وـهـجـرـةـ نـخـبـهـ، وـأـصـحـابـ الـعـقـولـ فـيـهـاـ وـهـيـ أحـوـجـ مـاـ تـكـوـنـ إـلـيـهـمـ؛ ليـرـابـطـواـ عـلـىـ ثـغـورـهـاـ فـيـ مـخـلـفـ الـمـجاـلـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ، وـالـإـغـاثـيـةـ، وـالـإـعـلـامـيـةـ، وـالـتـرـبـوـيـةـ، وـغـيـرـهـاـ.
- مـسـاعـدـ الـنـظـامـ فـيـ تـحـقـيقـ أـطـمـاعـهـ فـيـ تـهـجـيرـ أـهـلـ السـنـنـ، وـتـفـرـيـغـهـمـ مـنـ مـنـاطـقـهـمـ وـاستـبـدـالـهـمـ، وـصـوـلـاـ إـلـىـ تـغـيـيرـ تـرـكـيـبـةـ الـسـكـانـ فـيـ الـبـلـادـ.

رابعاً: في التجنس قدر زائد على مجرد الإقامة بالخصوص والتبعية للدولة صاحبة الجنسية، والتعهد بالحفظ على نظمها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والاستعداد للدفاع عنها، وقد يؤدي للواء لها، ومسألة التجنس من النوازل التي اختالفت فيها أنظار المفتين بحسب الأحوال والصور.

والذـيـ يـترـجـحـ: تـحرـيـمـ التـجـنـسـ بـجـنـسـيـةـ الدـوـلـ غـيرـ إـسـلـامـيـةـ، إـلـاـ فـيـ حـالـ الضـرـورةـ، كـمـنـ فـقـدـ جـنـسـيـتـهـ بـسـبـبـ الـاضـطـهـادـ فـيـ بـلـدـهـ، أـوـ ضـيـقـ عـلـيـهـ بـسـبـبـهـ، أـوـ عـجـزـ عـنـ اـسـتـخـرـاجـ الـأـوـرـاقـ الـثـبـوتـيـةـ الـلـازـمـةـ، وـلـمـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـحـصـلـ عـلـىـ جـنـسـيـةـ بـلـدـ مـنـ بـلـادـ الـمـسـلـمـينـ.

قال الشيخ علي الطنطاوي في "فتواه": "ومن الممنوع على المسلم أن يأخذ جنسية دولة غير مسلمة؛ لأنه يكون حينئذ ملتزماً بإطاعة أوامرها، واتباع قوانينها، بحيث لا يجوز له مخالفتها، أو الخروج عليها، إلا إذا اضطر إلى ذلك اضطراراً، ولم ي عمل ما ينافي شرع الله".

وقال الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي الشيخ محمد الحبيب ابن خوجة في بحثه المنشور في مجلة المجمع الفقهي: "التجنس بالجنسيات غير المسلمة سواء كانت أمريكية، أو أوروبية، أو غيرها، قد تكون جائزه إذا دعت الضرورة إليه، لا حباً للتشبه بأهل الكفر والتسمي باسمائهم، أو الاتصال بصفاتهم، بشرط أن لا يؤدي هذا التجنس إلى تعطيل أو نقص شيء من أمور دينه، أو يجره إلى موالة أعداء الله، وإنما قال تعالى: {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ} إلخ الآية".

أما إن كان التجنس يتضمن موالاة تامة للكافرين، أو الرضى عن دينهم، أو تفضيل القوانين الجاهلية على أحكام الشريعة،

أو الرضى بها: فهذا من الرّدّة، والعياذ بالله.

وأخيراً:

ينبغي على مَنِ اضطُرَّ للخروج مِنْ سوريا - وخاصةً اللاجئين إلى بلادٍ أجنبيةٍ، أو بعيدةٍ - الاستمرارُ في مناصرة إخوانهم في سوريا، ودول اللجوء، بالإعانة المادية المختلفة، والدُّعم المعنوي: بالتواصل والتثبيت والتصبير، والمُشاركة في الفعاليات الدعوية، والاجتماعية والسياسية وغيرها لنصرة الشعب المجاهد، وبذل المستطاع للتواصل مع المفكِّرين والكتَّاب والصحفيَّين، مِنْ أجل إبراز القضيَّة للناس في البلد الذي يعيشون فيه، والحرص على فضح أكاذيب النِّظام، ونشر جرائمه، وبذل الجهد في توعية النَّاس بهذه القضيَّة العادلة.

نَسَأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ عَمُومًا، وَأَهْلَ الشَّامِ خَصُوصًا، وَأَنْ يَعْجَلَ فَرْجَهُمْ، وَيَنْفَسَ كَرْبَتَهُمْ، وَيَنْصُرَهُمْ عَلَى عُدُوِّهِمْ، وَيَرْدَدَ الْمَهْجُورِينَ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ سَالِمِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المصادر: